تتمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (المحدث اليمني) انا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما انا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بعيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأحكام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن علي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولاسيما الأتراك ومن يحكمون أننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عداً (١)

(٣) أن يكون متضلعاً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفيه ما دُوِّن مالكاً في موطئه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسمائة حديث أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

---

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمني (٣) قد حقق الغربيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع انهم يعتنون بالبحث عن وسائط تفاهم العجماوات اهـ من الأصل . ولعله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورسية وبابحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة وإغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الوسومين وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دليل من يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهاد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً يأخذون باجماع علماء الصحابة ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يقيدون بقوم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر لا يتبعون فيه أصولا موضوعة غير مشروعة أو طرقا مقررة غير مرضوعة وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام زيد رضي الله عنه أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا مذهب إليه في المسألة بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى قراءة فهم بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها مبنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الأقدمين أو المعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل إلى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يريدهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الإقناع فالعلماء عندنا لا يجبرون على أن يلتزموا في مسألة مذهباً ما لم يذكروا معها دليلها من

كتاب منتقى الأخبار الذي شرحه وهو ليس له . وآمرون لم يهملوا المنطق وإنما خرجوا به عن التطريق المحنة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتى أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة أعظمها تضييق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضييق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأنف أن يقف عند «لا أدري» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيرا ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتهما ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضي الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمع بمالك أراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الأمصار ويريد أن السنة ليست بمجموعة في موطئه الذي جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى في اليواقيت والجواهر أن (أبا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت وهي نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وأنه قال يوما للمزني يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل الثقاة أن (سفيان الثوري) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فغرقها جميعاً

وروى عن (أبي يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبي حنيفة انك تكثر الخلاف لأبي حنيفة فقال لأنه أوتي من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن نفتي بقوله ما لم نفهم دليله وننفع (مرحى)

ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذروني فاني من قوم الفوا ذكر الدليل وإن كان معروفاً مشهورا وقد ذكرت طريقة علماء العرب في الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن في تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين في أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق في الإمكان أن يأتي الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعي وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعي أو أحمد والبخاري رضى الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتمثيل بمن قالوا (قلوبنا غلف) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيرا الذين جابوا الأقطار والبلاد التي تفرق اليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .

وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهدا في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير على النظير فهم ارشدونا إلى الاستهداء وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم انا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علما وهبياً أو كسبياً خارقا للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة وأول وأعظم من وضع أصولا لفقهه نجده قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لاتخرج عن علم اللغة واتبع أبا حنيفة في إدخاله في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والمنتج. واتبعه أيضاً في قياس مالم يرد فيه قرآن أو حديث على ماورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثروا من الأبواب وتفننوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا على الأصول والكلام . وهذا التوسع كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية بالأمور المعاشية كلما زاد التأنق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم الأفضل بل كلفنا بان نستهدي كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بجهدنا حيث قال تعالى (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.

قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئا إلا من السياح المنكدين الجهلاء الذين لايعرفون مايصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الذين ربما يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .